

## "الخلاص الذي فُتِّش وبحث عنه أنبياء"

بقلم : شكري حبيبي

لو تصفحنا صفحات الكتاب المقدس من أوله إلى آخره، لوجدنا أن كلمة الخلاص، وما يشابهها من تعابير تحمل نفس المعنى، تحتل مركز الصدارة. فمنذ أن عصى الإنسان الأول الله، وموضوع الخلاص هو الموضوع الأول والرئيس الذي يتردد في صفحات الكتاب المقدس. لا بل إن الرسول بطرس في رسالته الأولى إلى المؤمنين المتألمين في عصره، ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ قال: "الخلاص الذي فُتِّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها." (رسالة بطرس الأولى ١: ١٠-١٢).

يبدو واضحا من هذه الآيات المقدسة، أن الأنبياء قديما لم يتنبأوا عن هذا الخلاص فحسب، بل كانوا يبحثون عن الوقت أو العصر الذي سيظهر فيه هذا الخلاص المجيد. ولقد شهد لهم روح المسيح الذي هو الروح القدس، عن الآلام التي سيمر بها المخلص المسيح للتكفير عن خطية الجنس البشري، وعن الأمجاد التي سينالها بعدها، بقيامته الظاهرة، وصعوده حيا إلى السماء، وجلوسه عن يمين الله الأب، في مركز القوة والسلطان. وبتعبير آخر إن هذا الخلاص المجيد، الذي سيقوم به المخلص المسيح كان هو محط أنظار الأنبياء وتوقعاتهم منذ القديم. أجل لقد تنبأ أنبياء العهد القديم عن عصر المسيح المجيد، بالرغم من أن ملامحه وأوصافه كانت غامضة بالنسبة لهم. وأضاف الرسول بطرس بالروح القدس قائلا، أن الأنبياء قديما علموا أن إعلانات الله هذه، لم تكن لهم، بل كان هدفها عصر آخر هو عصر المسيح المجيد. وكانت تهدف لخدمتنا نحن الذين سنؤمن بالمسيح المخلص، أي كانت تهدف لخدمة كنيسة المسيح المفدية.

حقا ما أعظم خلاص الله وما أعجبه. فلقد استغرق الإعداد لهذا الخلاص المجيد والتمهيد له أربعة آلاف سنة. وطبعا إن المقصود بهذا الإعداد والتمهيد، هو تحضير الإنسان، لكي يعلن الله له خلاصه، ولكي يستطيع أن يستوعب معنى هذا الخلاص وأهميته. مع التأكيد هنا أن الله قد أعد خطة الخلاص منذ الأزل. ولهذا كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية قائلا: "ولكن لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني."

(غلاطية ٤: ٤-٦) أي أنه عندما اكتملت كل التحضيرات وأتى الوقت المعين، أرسل الله الآب ابنه لكي يُعلن خلاصه، ويقوم بعملية الفداء.

أما كاتب سفر العبرانيين فقد كتب قائلاً: "الله بعدما كَلَّمَ الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كَلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين." (عبرانيين ١: ١ و٢) لقد تعامل الله مع الإنسان قديماً من خلال الأنبياء، لكنه الآن وفي هذه الأيام الأخيرة، بعد أن اكتمل كل شيء أرسل لنا ابنه الوحيد، لكي يعلن لنا خلاصه.

أمام هذه الحقائق الهامة لم يكن غريباً أن يقول الرب يسوع المسيح لتلاميذه، أثناء حديثه للجموع عن أمثال الملكوت-وهي أمثال ملكوت الله وخلاصه الذي أُعلن عند مجيء المخلص المسيح-لم يكن غريباً أن يقول لهم: "ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا." (متى ١٣: ١٦ و١٧)

لقد كان مجيء المخلص المسيح وإعلانه لخلاص الله، هو محط رجاء الأنبياء وانتظارهم. فمن الطبيعي أن يكون عندهم هذا الاشتهاً، وهذا الشوق لرؤية يوم المسيح وعصره المجيد، وإعلان خلاص الله الموعود به. ألم يفرح سمعان الشيخ عندما رأى الطفل يسوع في الهيكل؟ فبارك الله وقال: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل." (لوقا ٢٩: ٢٩-٣٢) لهذا كان من الضروري للرب يسوع المسيح أن يلفت انتباه التلاميذ إلى هذه الحقيقة الهامة، وليكشف لهم أنهم يرون ما انتهى كل الأنبياء والأبرار أن يروه، وأنهم يسمعون ما تاق كل الأنبياء قديماً أن يسمعوه. إن الملك المخلص المسيح الموعود به بالذات هو في وسطهم، وها ملكوت الله وخلاصه سيُعلن ويُبشَّر به إلى كل الشعوب والأمم.

إن كل هذه الآيات المقدسة المقتبسة، تكشف لنا أن خطة الله في مجيء الملك المخلص المسيح، وإعلان خلاصه للإنسان، لم تتبدل أو تتغير. فمنذ القديم كان هذا هو هدف الله أن يُعلن خلاصه وملكوته من خلال المخلص الملك المسيح، وموته الكفاري على الصليب، وقيامته الظاهرة من بين الأموات، ثم صعوده حياً إلى السماء، وجلسه عن يمين الله الآب، في مركز القوة والسلطان. إن الله لم يضع خطة معينة، ثم بدلها في آخر لحظة لأي سبب معين. ولم يؤجل الله بالتالي خطته إلى زمن أو عصر آخر، أو يحل مكانها خطة أخرى مؤقتة، هي خطة الصليب والفداء، كما يظن البعض.

لقد رأى الأنبياء منذ القديم، عصرا مجيدا آتياً هو عصر الملك المخلص المسيح، عصر إعلان خلاص الله لكل الشعوب، عصر ملكوت الله. فبحثوا عن زمن هذا العصر المجيد الذي سيأتي، وفتشوا عنه. لا بل تتبأوا كما ذكر الرسول بطرس، عن نعمة الله التي غدت متوفرة لنا جميعا نحن البشر الخاطئة، والتي تجلّت في شخص المسيح وعمله الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة، وصيرورته ربا وملكاً.

فهل تعلم أخي المؤمن، أختي المؤمنة، حقيقة الامتيازات التي تتمتعان بها؟ وهل تدركان عظم وأهمية خلاص الله الذي حصلتما عليه؟ أو لم يحذرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً: "كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟" (عبرانيين ٢: ٣)

أما بالنسبة لمن لم يعرف خلاص الله هذا بعد، إن الرب يدعوك، وليس أنا، لكي تأتي وتختبر أعظم عطية في الوجود، ألا وهي عطية الخلاص المجيد، عطية نوال الغفران والدخول في عائلة الله، عطية الحياة الأبدية. وبإمكانك الحصول على هذه العطية عن طريق التوبة عن خطاياك، والإيمان بشخص المخلص الرب يسوع المسيح، وعمله الكفاري من أجلك على الصليب. لقد أعد الله لك هذا الخلاص منذ الأزل، ثم هيا البشرية لكي يرسل ابنه الوحيد، المخلص الفريد العجيب، ويعلن خلاصه للبشر جميعاً. وها هو الرب يسوع المسيح يدعو قائلاً:

"تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملتي خفيف." (متى ١١: ٢٨-٣٠)

فهل أنت أحد هؤلاء المتعبين والثقيلي الأحمال؟ تعال بالإيمان إلى المخلص المسيح.